

تشرّد البنات في ولاية الخرطوم: أبعاد المشكلة وتحديات الحلول

Homeless girls in the state of Khartoum: Dimensions of the problem and the challenges of solutions

د. عبد الباقي دفع الله أحمد

جامعة الخرطوم

Dr Abd El Bagi Dafa Alla Ahmen
Khartoum University

Abstract

This study tries to investigate the dimensions of street-girls' problems and to suggest practical solutions thereof. After citing the bibliographical information on street-girls in Khartoum State, it proceeds to describe how such girls spend their everyday lives, gives the main causes for their vagrancy, points out the educational, hygienic and security problems they face and finally suggests practical solutions to their problems.

For the study, analytical and survey methods were adopted. Namely,

1. Data about street-girls, from different previous studies, was viewed and used.
2. A survey among 24 street-girls was conducted, to find out what forced them to leave their homes, how they led their daily-lives and what sort of vagrancy lives they had, etc.

The most important results can be summarized as follows:

1. Street-girls' families and tribes are generally permissive in letting their children lead premature working-lives. They themselves have already suffered from many natural and human-made problems.
2. The main causes for leading a vagrancy life are economical, social and cultural in general.
3. Street-girls are generally active all the day's night. They spend all daylong sleeping under the supervision of a stronger street-boy, who plays the role of a boy-friend.
4. They face many educational, hygienic and security problems. Certain Suggestions for the solution of the street-girls' problem were made in the paper.

1. تمهيد

يعتقد عدد كبير من عامة الناس وخاصتهم أن الأطفال المشردين هم الذين لاينتمون لأسر معروفة، وأنهم أساس كل شر وبلاء. وبناءً على ذلك تكونت اتجاهات سلبية نحوهم. يجد المرء أن المسميات التي أعطيت لهم تدل على هذا الاتجاه السالب، مثل: "شماسة" و "أطفال شوارع". يُقصد بالوصف الأول كل من يعيش تحت الشمس ولا مأوى له يقيه حر الشمس. هذا على الأقل في السودان.

وقد لقبوا بألفاظ تحمل مضامين مشابهة لبعض الألفاظ في الأقطار الأخرى. وعندما يريد فرد ما الإساءة لألفاظٍ أو سلوكٍ آخر يصفه بأنه أسلوب شوارع أو تصرفات شماسة. وربما يجد الفرد المبررات لهؤلاء الأفراد فيما يتعلق بهذه الاتجاهات السالبة. وذلك لأن هؤلاء الأطفال تصدر عنهم - في الغالب الأعم - أنماط سلوكية شاذة لا لأنهم سيئون بالفطرة، ولكن لنقص الرعاية الوالدية التي لا ينكر أحد أهميتها لمن في مثل سنهم من الناس. يمكن لأي أحد أن يأتي بتصرفاتهم نفسها إن تعرض لظروفهم نفسها. لذا ينبغي النظر لهؤلاء الأطفال على أنهم يعيشون ظروفًا استثنائية ضاغطة، يحتاجون فيها لرعاية المجتمع وحمايته، ليأمنوا شر تصرفاتهم السيئة مستقبلاً، وليستفاد من قدراتهم في البناء والتعمير.

تعود المجتمع على رؤية الأطفال المشردين الذكور في الشوارع، إلا أن رؤية البنات المشردات وهنّ يجبن الشوارع من الأمور غير المألوفة. وذلك لأسباب كثيرة. ربما أهمها أن المشردات يدركن بصورة أو بأخرى أنهن لسن كالذكور حتى يتحركن بحرية تامة، وذلك ربما لأن المجتمع الرسمي والشعبي لا يسمح بذلك باعتبار أن ظهور الفتيات بهذا الشكل يدل على تهتك المجتمع وتفسخه. وهو أمر لا يرتضيه الدين ولا العرف. كما أن البنات ليست لديهن القدرة على سرعة الحركة والتخفي كما للذكور. ولكن عدم رؤية البنات المشردة لا يعني عدم وجود هذه الظاهرة.

تعتبر ظاهرة تشرد الأطفال بصورة عامة، وتشرد البنات بصورة خاصة، ظاهرة حضرية معاصرة. وهي لذلك أكثر انتشاراً في المدن الكبرى عنها في المجتمعات الريفية التي تحكمها الأعراف والتقاليد الصارمة والقيم المتعلقة بكفالة اليتيم وإعانة المحتاج، ومساندة المكوم.

لا يعتقد الباحث أن أسباب التشرّد نفسية. فقد أثبتت نتائج الدراسة التي أجراها عبدالباقي دفع الله (1992) أنه ليست ثمة سمات شخصية معينة تدفع الطفل لاتخاذ قرار الهروب من المنزل وتفضيل حياة الشارع عليه. وإنما تتمثل أسباب تشرّد الأطفال في العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبما أن أغلبية أسر الأطفال المشردين هي النازحة للمدن، فإنهم غير مؤهلين للعيش فيها. لذلك يجدهم المرء يعيشون في أطرافها. وغالباً ما تمارس أسر هؤلاء الأطفال أعمالها بعيداً عن مكان إقامتها. ويتغيب الآباء والأمهات لأكثر من ثلثي ساعات اليوم، ويطلب من الأطفال المساهمة في دعم دخل الأسرة، أو القيام برعاية إخوتهم الصغار وتنشئتهم في غياب الأم. وبذلك تتفتح للطفل العامل بعض الأبواب المغلقة، ويفر من كنف الأسرة، التي غالباً ما تعاقبه بالضرب لعدم إنجازه المهام الموكلة إليه على الوجه الصحيح، ويلجأ إلى الشارع ليبدأ حياة "اللاعودة" إن لم يجد من يأخذ بيده ويرعاه.

2. مشكلة الدراسة وحلولها

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1.2 ما وضع المشردات في ولاية الخرطوم وذلك من حيث العدد، والتوزيع الجغرافي، وأماكن الوجود والبعد العرقي؟
- 2.2 ما أسباب تشرّد البنات بولاية الخرطوم؟
- 3.2 كيف تقضي المشردة حياتها اليومية؟
- 4.2 ما أبرز مشاكل المشردات (التعليمية، الصحية، الأمنية)؟
- 5.2 ما أبرز الحلول لمعالجة هذه المشكلة؟

3. أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

- 1.3 التعرف على مظاهر مشكلة تشرّد البنات بولاية الخرطوم ومقارنتها بغيرها من المدن والبلدان.
- 2.3 توضيح أهم أسباب تشرّد البنات بولاية الخرطوم وذلك للتبصّر بها والعمل على التقليل من آثارها المستقبلية.

3.3 التوصل لبعض مقترحات الحلول التي ربما تسهم في تحسين الوضع القائم لتشرّد البنات، واحتمال توليد هذه الدراسة لبعض الأفكار لمعالجة ما تطرحه من مشاكل.

4. أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في أنها

1.4 تلقي الضوء على أهم الأسباب التي تعمل على تفريخ البنات المشرّدات، وبالتالي الانتباه لها والعمل على معالجتها.

2.4 تزويد العاملين في هذا المجال بآلية عملية فاعلة ربما تساعد في معالجة بعض جوانب القصور في مجال تشرّد البنات.

3.4 إثراء أدب الدراسات السابقة وبخاصة أن مثل هذا النوع من الدراسات لا زالت قليلة في الأدب المحلي.

4.4 تعتبر هذه الدراسة من الدراسات النادرة التي قارنت بين ما يحدث في السودان وبعض الأقطار العربية والعالمية، وربما يساعد ذلك في إيجاد خصوصية لتناول هذه القضية في السودان.

5. منهج الدراسة

تقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج التحليلي (Analytical Method). وذلك بتحليل البيانات ونتائج البحوث والدراسات المتصلة بموضوع التشرّد واستخلاص المعلومات اللازمة للوصول إلى الإجابات المناسبة عن الأسئلة السابق عرضها. وذلك إلى جانب المنهج المسحي، إذ قام الباحث بإجراء دراسة مسحية وسط أربع وعشرين (24) من البنات المشرّدات بولاية الخرطوم. تظهر أسئلة هذا الاستبيان ونتائجه من خلال الإجابات عن كل سؤال من أسئلة الدراسة.

1.5 ما وضع المشرّدات في ولاية الخرطوم؟

يتعلق هذا السؤال ببحث الصورة العامة لوضع المشرّدات بولاية الخرطوم. وذلك من حيث العدد، والتوزيع الجغرافي، وأماكن الوجود والبعد العرقي.

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي استعراض الإحصاءات الإقليمية والعالمية وذلك حتى يتمكن الناظر لهذه الأمر من إيجاد خلفية ربما تمكنه من الإجابة عن كثير من التساؤلات المرتبطة بها.

1.1.5 تقول بعض الإحصاءات المبالغ فيها إن ما يقدر بمائة مليون (100.000.000) فرد يعيشون ويعملون في شوارع العالم، حيث يتسولون أو يبيعون الفاكهة والسجائر والحلي الرخيصة، أو يمسخون الأحذية، ويلجأون أحياناً كثيرة إلى السرقة أو البغاء حتى يعيشوا، وأن من بين هؤلاء ثلاثين مليون (30.000.000) طفل. إلا أن الإحصاءات التي ذُكرت في مؤتمر هامبورغ الذي عقد في يوليو 2002 تحت شعار "الأطفال ضحايا الحرب والفقر" تقول إن في العالم نحو ثلاثة عشر (13) مليون طفل مشرد، منهم أربعة ملايين يعانون من الشلل الدائم بسبب جروح سببتها الحروب، وأربعة ملايين طفل آخر يعيشون لاجئين في المخيمات والبقية في الأسواق. ويعتقد الباحث بصحة هذا الرقم.

2.1.5 ذكر حمد العقلا (<http://www.alriyadh.com.sa/contnt/17-11>) (2002) Mainpage/locali-3332، أمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية: "أن المجلس بدأ بدراسة ظاهرة أطفال الشوارع في المنطقة العربية ومعالجتها، والتصدي لها في خمس دول هي: مصر والسودان والمغرب ولبنان واليمن، وأن هناك ما بين 7 إلى 10 ملايين من أطفال الشوارع في عشر دول عربية". وإذا تساءل المرء لماذا هذه الدول بالذات؟ اتضح أن المشكلة لدى هذه الدول متأزمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تشير إحصاءات غير رسمية في مصر إلي وجود أكثر من مليون ونصف المليون (1.5) طفل في الشوارع تتراوح أعمارهم بين 10 إلى 15 عاماً. وفي السودان نحو ثمانين ألف (80.000) طفل متشرد (شمّاسي)، أغلبهم من إفرزات حرب الجنوب النازفة والصراعات القبلية. أما في اليمن فيصل عدد أطفال الشوارع إلى ثمانية وعشرين ألف (28.000) طفل. وفي المغرب بحسب دراسة إحصائية

أجريت عام 1998، فإن عدد أطفال الشوارع بلغ في الأقاليم التي شملتها الدراسة ثمانية آلاف وسبعمائة وثمانين (8780) طفلاً في الدار البيضاء وحدها.

3.1.5 يلاحظ من الإحصاءات السابقة أن الظاهرة ليست سودانية، كما أن كل هذه الإحصاءات لم تشر لنوع المتشردين، وإنما اكتفت فقط بإصدار الأرقام الكلية. فقد وضّح تقرير بحثي (Children of the Sug 2001) أعدته مجموعة من الباحثين، في دراسة أجريت في الخرطوم، أنه من الصعب حصر عدد الأطفال المشردين. وذلك لسرعة تحركاتهم وعدم وجود جهة مركزية لحصر أعدادهم وتسجيلها. فقد أوضح التقرير أنه في عام 1960، سُجّلت ثلاثمائة وتسع وتسعون (399) حالة تشرد، وفي عام 1974 نحو ألف (1000) حالة تشرد. وفي عام 1980 قُدِّر العدد بنحو خمسة وعشرين ألف (25.000) طفلٍ مشردٍ. وفي آخر الإحصاءات في عام 1988 قُدِّر عدد الأطفال المشردين بستة عشر ألف وسبعمائة (16.700) طفلٍ في الخرطوم وحدها. وفي دراسة أخرى أجريت عام 1990 وضحت أن هنالك أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وستة وثلاثين (14.336) طفلاً مشرداً ذكراً، وأنّ هنالك نحو سبعمائة وإحدى وسبعين (771) بنتاً مشردة، يعيشون في الخرطوم وحدها. أوضح التقرير (Children of the Sug 2001) أن عدد البنات المشردات في الخرطوم يقدر بنحو أربع آلاف (4.000) بنتٍ مشردةٍ، 20% من هؤلاء البنات يعشن حياة تشرد كاملة. أما البقية (80%) منهن فيعشن تشرداً جزئياً، فهنّ يعملن بالصباح ويعدن للمنزل ليلاً، بمعنى أن هنالك نحو ثمانمائة (800) بنتٍ يعشن حياة تشرد كاملة في الشوارع.

4.1.5 لا توجد إحصاءات دقيقة لعدد البنات المشردات في المدن السودانية الكبرى. إن بعض الدراسات ذات الصلة (Soha O.A. Eltai 2002)، التي استعرضها الباحث، أوضحت صاحبها أن هنالك نحو سبعمائة (700) بنتٍ مشردةٍ في الخرطوم وحدها، وأنها لم تستطع إلا مقابلة ستّ وثلاثين (36)

منهن، ذلك لمنع الحكومة لهن من إعطاء معلومات للباحثين، حسب قول الباحثة. كما أن عدد البنات المشردات اللاتي أجريت عليهن دراسة خلف الله إسماعيل (2002) لم يزدن عن خمس وخمسين (55) بنتاً مشردةً. ولم يتمكن التقرير الأسبق (Children of the Sug 2001) من جمع المعلومات إلا من خمسٍ وثلاثين (35) بنتاً مشردةً. كما لم يستطع الباحث في هذه الدراسة إلا مقابلة أربع وعشرين (24) منهن.

يخلص الباحث إلى أن عدد البنات المشردات كما أوضحت تلك الدراسات يقدر بنحو سبعمائة (700) بنتٍ. لكن هنالك بعض المآخذ على هذا التقرير، تتمثل في الآتي:

(أ) إن عدداً كبيراً من هؤلاء المشردات يعملن في الأسواق والمنازل ويَعُدن في المساء لبيوتهن. فهؤلاء الفتيات على حسب تعريف اليونيسيف يصنّفن كمشردات.

(ب) إن هذه الإحصائية - بغض النظر عن صحتها - تناسب حجم الكوارث التي تسببت فيها، وبمعالجة أسباب عمالة الأطفال عندئذٍ يصبح الرقم المتبقي غير مقلق، ويمكن السيطرة عليه بسهولة.

5.1.5 أما فيما يتعلق بأماكن وجود البنات المشردات فيعتمد ذلك بدرجة كبيرة على نوعية التشرد. فعالية المشردات تشرداً جزئياً يذهبن لمنازلهن الموجودة في أطراف العاصمة ليلاً. فقد ذكرت ثلاث عشرة (13) من البنات اللاتي يمثلن عينة الدراسة الحالية (54.17%) أنهن يقمن بمنازلهن. أما البقية الباقية (45.83%) فإنهن يقمن بمنازل أصدقائهن أو بالشارع (تحت حماية أحد الأصدقاء) وبعض مراكز الشرطة، أو إي مكان آخر مناسب للنوم (حسب ما ذكره بعضهن). ويلاحظ أن كل الأوضاع الأخيرة لمبيت البنات شاذة. وربما تعرضهن لكثير من الأخطار.

6.1.5 يُستخلص من إجابة هذا السؤال أن هذه القبائل النازحة عموماً تتسامح ثقافتها مع خروج الفتاة للعمل وتشجعه. وذلك لدعم اقتصاد الأسرة بأي صورة كانت.

هذا إضافةً للظروف القاسية التي عاشتها بعض هذه الأسر فقد حددت نسيجها الاجتماعي؛ وأدى لانهايار القيم؛ وفقدان الوالدين والدعم الاجتماعي مما جعل خروج الفتيات للعمل هو البديل الأكثر جاذبية للفتاة وللأسرة. تؤكد البيانات المذكورة من حيث الأرقام والتوزيع الجغرافي على موضوعية حدوث التشرد. وهي عوامل تمثل مؤشرات واضحة لما ينبغي أن تكون عليه طبيعة المعالجات للحد من انتشار تشرد الفتيات. وذلك بأن يأخذ المرء في الاعتبار خلفية المشرديات، وكذلك الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والبنيات الفكرية للقبائل النازحة، وتوظيف فلكلورها وتراثها، وألا تُهمل معالجة اقتصاديات هذه القبائل وبنياتها الأمنية الأساسية.

2.5 ما أسباب تشرد البنات بولاية الخرطوم؟

وُجِّهت أسئلة مباشرة للمشرديات حول الأسباب المحتملة التي أدت لتشردهن. وُقِّمَت هذه الأسباب إلى أسباب اقتصادية، اجتماعية، وثقافية، وأخيراً التقليدي والمحاكاة. ومما تجدر الإشارة إليه وملاحظته هو أن المجتمع السوداني التقليدي المحافظ قد تعرض لهزات عنيفة بسبب الحرب الأهلية الدائرة في جنوب السودان وفي غربه وشرقه، والصراعات القبلية في بعض مناطق التماس القبلي، وموجات الجفاف والتصحر. كل هذه أدت إلى هجرة ريفية كبيرة نحو المدن الرئيسية، التي لم تستعد لاستقبال أمواج المهاجرين الجدد الذين لم يتعودوا سكن المدن، ولم يتأقلموا مع شروط المدينة، الأمر الذي نتج عنه ارتفاع معدلات البطالة وتزايد نسبة الفقراء ممن فقدوا مصادر دخلهم التقليدية في الريف دون أن توفر لهم الحياة الحضرية بديلاً عنها. وهو ما انعكس على النواحي الاجتماعية. فتزايدت معدلات الطلاق، وتكاثرت نسب التفكك الأسري، وتناقص التكافل الاجتماعي القبلي التقليدي.

وتأكيداً على ما سبق، تتفق معظم الدراسات التي أجريت في موضوع تشرد البنات (مثل خلف الله إسماعيل 2002 و Soha Eltai 2001، وتقرير Children of the Sug 2001) والمسح الميداني الذي أجري لهذه الدراسة، أن أسباب تشرد

البنات هي نفسها أسباب تشرد الذكور. وعليه يمكن إجمال أسباب تشرد البنات في النقاط التالية.

1.2.5 أسباب اقتصادية

إن الحالة الاقتصادية للبلاد، بعد موجات الجفاف والحرب المستمرة في الجنوب، وبعض الصراعات القبلية، وتبني سياسة ليبرالية لا تعير كثير اهتمام لمجانية الخدمات الضرورية، والظروف المادية الصعبة التي تعيش فيها أسر بعض الأطفال في أطراف المدن، وانتشار البطالة وانخفاض مستويات الأجور في الوقت الذي تتضاعف فيه الأسعار بوتيرة متسارعة، كلها أسباب دفعت الكثير من البنات إلى التمرد على حياة الفقر التي تعيش فيها أسرهن والبحث عن بدائل أخرى مهما كانت صعبة، ليست من بينها المدرسة أو الدراسة.

2.2.5 أسباب اجتماعية

تتمثل الأسباب الاجتماعية في مظاهر التحلل من التزامات التكافل الاجتماعي التي ورثها المجتمع من حياة الريف ومستلزمات العصبية القبلية، وتخلي الكثير من الآباء عن مسؤولياتهم الأسرية. هذا إضافة للظروف الأسرية السيئة نتيجة الطلاق، أو الهجر والعيش في كنف زوج الأم أو زوجة الأب، والفقر، والأمية والانحطاط الأخلاقي للوالدين. فهذه كلها كثيراً ما تدفع الفتاة إلى الهروب والخروج إلى الشارع، حيث تتعرض لكافة أشكال الاستغلال المادي والجنسي والبدني، وتعاني من سوء المعاملة والحرمان النفسي. فمن أجل توفير لقمة العيش تمارس مجموعة من الأعمال غير الرسمية، مثل الخدمة في المنازل، والتسول، بيع السلع التافهة، والعمل في المحال العامة، وممارسة أعمال غير قانونية.

3.2.5 أسباب ثقافية

شكلت ظروف الحياة في المدن وانتشار محلات الهامبرغر والسندوتشات ودور السينما التي تبث أفلام العنف وأشرطة الموسيقى الصاخبة وما

يُصاحبها من تشبه بنجوم السينما تحدياً كبيراً أمام فئة البنات اللاتي لم توفر لهن الأسرة التربية التي تخلق عندهن مناعة ضد هذه المؤثرات، ولم توفر لهن فرص الحصول على مستويات تعليمية من المدرسة توجههن التوجيه السليم. وهو ما يجعلهن عرضة لتلك التأثيرات المغرية.

4.2.5 التقليد أو المحاكاة

إن التقليد أو المحاكاة (تقليد البنات للبايعات الأخريات في الشوارع ومحاكتهن)، وصحبة السوء، وذلك بحضور إحدى البنات المشردات والبدء في سرد مجازفاتها وقصصها التي عاشتها أثناء وجودها في الشارع، والحرية التي تتمتع بها مع صديقها، ومشاهدة السينما، والأكل الجيد، والتحلل من المسؤوليات الكبيرة مثل رعاية الأخوة الصغار وما إلى ذلك، كلّه مما يغري البنات للخروج ومحاولة تقليد هذه التجربة المثيرة بصحبة بنت الحي أو الحلة.

5.2.5 يتضح مما تقدم أن أكثر العوامل التي تفسر تشرد الفتيات يمكن حصرها في الظروف الطبيعية من مجاعة وجفاف وتصحر أدت إلى التفكك الأسري والفقر والتنازل غير الطوعي عن بعض القيم الأصيلة المتعلقة بالمرأة ووضعيتها. لذلك أفرزت الحرب وفترات الجفاف والتصحر وضعاً غير طبيعي لإنسان هذه المناطق، خاصة وأنه أصبح يعيش في منطقة لا يعرف الكثير عن جغرافيتها وكيفية التعامل معها لتأمين المأكل والمسكن له ولأولاده. هذا لو وضع المرء في الاعتبار عدم رغبة ذلك الإنسان في الحرب وقابليته كإنسان للتأثر بالضغوط التي من أهمها الحرمان مما تعود عليه من طعام ومصادر للمياه والملبس والمأوى والأمن والانتماء. لذلك تفرق الأبناء في المدينة لعدم مقدرة الأسرة على رعايتهم فيها.

3.5 كيف تقضي المشردة حياتها اليومية؟

ينص هذا السؤال على كيفية قضاء المشردة لحياتها اليومية. تختلف الإجابة عن السؤال حسب نوع التشرد وعمر الفتاة الزمني. فقد أوضحت نتائج الدراسة المسحية التي قام بها الباحث أن عمر هؤلاء الفتيات يتراوح ما بين أربع عشرة وتسع عشرة (14 - 19) سنة. ويمكن أن تتكون بعد ذلك صورة واضحة لما يمكن أن يبدر من بنت في هذا العمر. فالبنات المشردات تشرداً كاملاً، اللاتي يقضين الليل في مكان ما من الشارع- مع صديقها- غالباً ما ينمن في وقت متأخر من الليل، وينمن كل النهار. وأخريات يستيقظن في وقت مبكر جداً حسب شكل الحماية المتوفر. يبدأ يوم المشردة بالغسيل في البحر أو المجاري أو المنزل الذي تعمل فيه وقضاء حاجتها هنالك. أما فيما يتعلق بالأكل، فيكون الحصول عليه بعدة طرق: إما بواسطة الصديق أو تذهب هي للكافتيريا، تشتريه من المطعم من النقود التي تحصلت عليها من ممارسة البغاء (إذ أوضحت الدراسة أن 66.6% من البنات المشردات موضوع الدراسة الحالية مارسن الجنس مع شخص بالغ)، لأنه مصدر الدخل الأساسي لمعظم البنات المشردات تشرداً كاملاً. أما البنات المشردات جزئياً فيحصلن على الطعام عادة من النقود التي يكتسبنها من أجرة العمل أو العمل التجاري البسيط الذي يُدرته.

يُعد تناول المخدرات أو المواد المخدرة من النشاطات اليومية للبنات المشردات. لذلك يعتبر ذلك من النشاطات الأساسية لهؤلاء المشردات، أو يقمن ببعض الأعمال البسيطة المتمثلة في بيع الفول السوداني (المدمس) واللب (التسالي) أو مساعدة بائعات الشاي والكسرة في غسيل الصحون ومناولة الطعام والشراب.

يتلخص مما سبق أنه لتأمين سلامة هؤلاء الفتيات ينبغي التأكيد على أهمية إعداد الدور المناسبة لهؤلاء الفتيات، والعمل على توفير كل ما يمكن أن يضمن استقرارهن، وتزويد الدور بالمتخصصين النفسيين والاجتماعيين الذين يمكن أن يسهموا في وضع البيئة الاجتماعية الآمنة لهؤلاء الفتيات وتخطيطها، منطلقين من المعايير والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تميز خلفيات الفتيات القبلية.

4.5 ما أبرز مشاكل المشردات التعليمية والصحية والأمنية؟

يتلخص هذا السؤال في محاولته معرفة أبرز مشاكل البنات المشرديات. فمن خلال المسح الميداني لهذه الدراسة يمكن إيجاز أهم المشاكل التي تتعرض لها البنات المشرديات في النقاط التالية.

1.4.5 مشاكل التعليم

مما لاشك فيه أن أكثر الآثار وضوحاً التي تقع على هؤلاء البنات باختلاف أعمارهن هي حصرهن في مجال الأمية أو التعليم المنخفض؛ إذ عادةً ما تفتقد هؤلاء البنات الرعاية الأسرية المشجعة للاستمرار في التعليم أو الالتحاق به. منهن عادة من ينتمين إلى أسر مفككة فقيرة غير سوية. وهو ما يساعدهن على الهروب أو عدم الالتحاق بالمدارس نهائياً وبذلك يجد المرء أن هؤلاء البنات غالباً ما يلجأن إلى الشارع بدلاً من التعليم. ويحكم عليهن بالحرمان من حقهن الأساسي في التعليم والتزقي في المستوى الاجتماعي والاقتصادي على المدى البعيد.

2.4.5 المشاكل الصحية

تتعرض هؤلاء البنات للأمراض. كلُّ واحدة منهن حسب مجال عملها أو احتكاكها. وبما أن البيئة التي يقمن بها غير صحية بعامة، لذلك يجد المرء أنهن يتعرضن لكثير من المخاطر الصحية خاصة التلوث الهوائي أو المائي والغذائي. كما أنهن يُصبن بالعديد من أمراض الأغذية الملوثة، كما يتعرضن لأمراض مثل الجرب، التيفوئيد، الملاريا، البلهارسيا، الأنيميا، السعال المستمر، وتقيحات الجروح، إذ تؤدي الممارسات الجنسية التي تتعرض لها البنات المشرديات للعديد من المخاطر الصحية، بما في ذلك الأمراض النفسية، والإصابة بنقص المناعة المكتسب (الإيدز)، والأمراض التناسلية، وحالات الحمل غير الشرعي، وإدمان المخدرات. إضافةً إلى ذلك تصبح هؤلاء البنات رهائن لواقع مشوه يسود فيه الضعف، وفقدان الثقة بالآخرين، والإحساس بالعار، والنبذ من قبل المجتمع. وربما يتعرض كثير من البنات المشرديات لعملية الإجهاض التي تهدد في الغالب حياة هؤلاء الطفلات،

وكذلك الآثار الناجمة عن استنشاق السليسيون، وتناول الخمور وبعض أنواع المواد المخدرة الأخرى.

3.4.5 المشاكل الأمنية

من أكثر العوامل التي تمثل خطورة بالغة على البنات المشردات بوجه خاص والمجتمع بأسره بوجه عام هو استقطاب المجموعات الإجرامية لهن؛ إذ تتخذ هذه المجموعات من هؤلاء الصغار أدوات سهلة ورخيصة للأنشطة غير المشروعة، سواءً أكان باستخدامهن كأدوات مساعدة في الترويج والتوزيع للممنوعات، أو بإحداث الاضطرابات والعنف أو استغلالهن في الأعمال المتصلة بالدعارة والفسق. كما أن هؤلاء البنات ربما يتعرضن لأنواع جديدة من المخاطر ارتبطت بالتطورات المجتمعية الحديثة كاستغلالهن للترويج عن الأجانب في المعسكرات أو أماكن السكن، خاصة وأن هنالك شركات كثيرة لديها عمال من البلد نفسه الذي تمثله المشردات الأجنبية.

يعتبر بروز هذه المشاكل نتيجة طبيعية للمشاكل التي تعاني منها هؤلاء الفتيات. فغياب الدور الأسري والدور الرسمي نجم عنه كل هذه المشاكل. لذلك فإن تفعيل قوانين عمالة الأطفال، وحماية الطفولة، وقوانين التشرد يمكن أن تسهم في التقليل من حدة هذه المشاكل مستقبلاً.

6. التوصيات والمقترحات

بما أن هذه الظاهرة عالمية، تؤدي العوامل السياسية والاقتصادية دوراً بارزاً في نشوئها، فإن النظر لأسباب هذه الظاهرة يمثل حلقات الحل لهذه المشكلة من جذورها. لذا فإن الحل في الأساس يكمن في الجوانب التالية:

1.6 العمل بكافة الطرق والوسائل لإيقاف الحرب السياسية في الجنوب وبعض مناطق السودان الأخرى، ودراسة الأسباب التي تؤدي للصراع القبلي في مناطق التماس، حتى يضمن المرء في الأقل تجفيف منبع النزوح من الريف للمدن، والعمل على تنمية هذه المناطق وبالتالي ضمان استقرار الأسر.

2.6 ضرورة توفير التعليم الأساسي ذي النوعية الجيدة مجاناً ، باعتباره حقاً وشاغلاً رئيساً للأطفال في "مرحلة الطفولة الوسطى" وعاملاً مهماً آخر يتحكم في حياة الأطفال في مرحلتها المراهقة والرشد. ويتعين ألا يُنظر للمدارس باعتبارها مؤسسات تعليمية تساعد الأطفال على تعلم ما يحتاجون إلى تعلمه فحسب، بل باعتبارها وسائل لحماية الأطفال ولحفظ حقوقهم كذلك. وعند القيام بذلك، ينبغي أن تصل للأطفال المستعبدين وأن تكون لها صفة الديمقراطية والمشاركة والرحمة والخلو من العنف. ويجب أن تؤدي هذه المدارس - وغيرها من البيئات الخاصة بالأطفال - إلى منحهم مزيداً من "الدعم"، وتعزيز قدرتهم الفردية على التصرف ومساعدتهم على توفير أوسع نطاق ممكن من الخيارات في المستقبل.

3.6 ضرورة إيجاد تشريعات ملزمة للجميع، تمنع الأسر وغيرها من استخدام الأطفال دون سن الخامسة عشرة في أي شكل من أشكال العمل المنزلي أو ترويج السلع، أو غير ذلك. على أن يعمم هذا الأمر عبر وسائل الإعلام. كذلك ينبغي أن تُدعم أي أسرة لا تستطيع تعليم أبنائها، وأن يكون ذلك عبر المحليات التي تسكن بها أسر هؤلاء الأطفال، وأن تفعل هذه التشريعات إن كانت موجودة.

4.6 تشييد المراكز والمعاهد المتخصصة التي تمكّن البنات اللاتي في الشارع من اللجوء إليها، على أن تتوفر الثقة بين الإدارة والبنات، وتبني سياسة الباب المفتوح، بمعنى أن يشعرن أنهن يتعاملن مع المجتمع بكل فئاته؛ لأن سياسة الباب المغلق حول الأطفال - كما في مراكز الأطفال التقليدية - تنتج فتيات غريبات، يُصنّ بصدمة عندما يبدأن في التعامل مع المجتمع. لكن تجب متابعة هؤلاء البنات كما لو كن في أسرة سوية. فمن تلتحق منهن بالمدرسة يصبح أعضاء المركز أو المعهد أولياء أمرها. وهي فترة تأهيل للانفصال التام عن المراكز المتخصصة. ويعتقد الباحث أن هنالك كثيراً من كفلاء البنات الذين يتبرعون بوقتهم وأموالهم للمساعدة في رعايتهن، علماً بأن المجلس العربي للطفولة والتنمية ومنظمة اليونيسيف، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة العمل الدولية، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة الداخلية، كل هذه الجهات تقدم الكثير من الدعم الفني كما يمكن أن تقدم الخبراء، كلٌّ في مجال تخصصه.

وبالتالي تتوفر ضمانات كثيرة بوجود هؤلاء الفتيات في جهات محددة، فيعمل ذلك على حمايتهن من الاستغلال.

5.6 إيجاد طريقة عملية وعلمية لتعريف مصطلح "البنات المشردة"، وذلك تجنباً للتصادم الثقافي مع الأمم الأخرى، باعتبار أن المجتمع السوداني مجتمع زراعي ورعوي، وأن عملَ الطفل يشكل دعامة أساسية للأسرة خاصة في الإجازة. وبناءً على ذلك يجب القيام بعمل مسحي جاد بمشاركة كل العاملين في قطاع التشرد بحصر عدد البنات المشردات - بالتعريف السوداني - ومن ثم العمل على معالجة الموضوع من هذه الزاوية.

6.6 التنسيق ما بين المنظمات العاملة في مجال تأهيل البنات المشردات ورعايتهن. ذلك لأنَّ هؤلاء البنات يعرفن بصورة أو بأخرى ما تمنحه أيُّ جهة من مساعدات، وذلك حتى لا يستهويهنَّ مجرد التمتع بما يقدِّم لهن بدلاً من الاستفادة من هذه الإمكانيات للتأهيل ولمَّ الشمل.

المراجع

- أحمد، عبدالباقي دفع الله
2004 "الاضطرابات النفسية للأمهات والأطفال النازحين بمعسكر وقوز السلام- جنوب كوستي"،
مجلة دراسات نفسية 3:114 - 131.
د ت "الأطفال المشردون: سلسلة إصدارات حماية الطفولة في السودان.
العقلا ، حمد

<http://www.alriyadh.com.sa/contents/17-1>
2000 Main page /LOCALI-3332.

- محمد، خلف الله إسماعيل
2002 تشرد البنات: الواقع وتجربة الرعاية والتأهيل، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 2/7:
143 - 158.

Ahmed, Abdel Bagi Dafalla
1992 *Personality Traits of Street-Children. Towards a psychological Understanding of this Phenomenon. Master Thesis. University of Khartoum, Faculty of Arts.*

Kudrati, Mustafa et. al.

2001 *Children of the Sug. Full-time and working Street-children of Khartoum, Sudan* (Research Report).

Eltai, Soha O.A

2002 *Street-Girls in Khartoum, Sudan. Enro- Biz studies*, Band 5, Volume 5
(<http://www.bizme.de/5soha.html>).